شهرية السياسة الدولية

ثلاثة أحداث شغلت مضمار السياسة الدولية خلال الشهر المنقضى . إخفاق مؤتمر وزراء خارجيات الدول الأربع العظمى ، والسعى الحثيث فى تحقيق اتحاد صقالبة الجنوب ، وتطورات القضية الفلسطينية بعد ، إذ أصدرت فيها الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة توصيتها بالتقسيم .

مؤتمر وزراء الخارجية

أما مؤتمر ورراء الخارجية فقد انعقد فى لندن ، واكتنف انعقاده جو مكهرب . كان جدول أعماله شاملا معاهدة الصلح مع النمسا ومعاهدة الصلح مع ألمانيا وما إليهما من تحديد للتخوم وتقرير لنظام الادارة والاستثمار الاقتصادى فى المناطق الألمانية الموحدة أو الموزعة ، المراد إضافتها إلى كيان دولة معينة أو المرغوب فى فرض رقابة دولية عليها . وكان المعروف أن الاتحاد السوفييتى يريد أن يقدم مناقشة معاهدة الصلح الألمانية على مناقشة معاهدة الصلح النمسوية ، وكان المعروف أنه يريد أن يستمع لرأى الألمان فى مشروع معاهدة الصلح معهم قبل أن تعرض على المؤتمر العام حيث يوقع عليها قبل اتخاذ اجراءات ابرامها . لكن الحوادث لم تشأ أن تمهل مؤتمر وزراء الخارجية حتى يجتمع فيجابه فى اجتماعه كل تلك الصعوبات ؛ إذ ألقى القائد الروسى المشرف على المنطقة السوفيتية بالأراضى الألمانية بارحة الانعقاد خطابا دعا فيه إلى ضروره التعجيل بتأليف حكومة ألمانية مركزية ، وإذ اتهم الرفيق مولوتوف وزير الخارجية السوفيتية الانجليز والاميريكيين بالتواطؤ على إقامة حكومة فى غرب ألمانيا منفصلة عن شرقها . ومن شأن هذا الاتهام الثانى أن يثير ثائرة الشعب الألمانى على الدولتين الانجلوسكسوبيتين ، وهو شعب يود أن يظل محتفظا بوحدته وباندماج عناصره فى كتلة واحدة . ومن شأن ذلك التعجيل إلقاء الرعب فى القلوب الفرنسية التى لا ترى خلاص فرنسا إلا فى تمزيق الوحدة الألمانية أو فى تعيين حدودها الغربية على الأقل تحديدا يضم بلاد السار إلى الأراضى الفرنسية ضما ، ويخضع منطقة الرور لنظام دولى يكون لفرنسا فيه مركز ممتاز .

وقد شاء وزير الخارجية الاميريكية ألا يعرض للموقف الروسى برد ، وراح يستمسك بالنظر المباشر إلى المسائل المدرجة فى جدول أعمال المؤتمر . وراح المؤتمر يعرض لاجراءات معاهدة الصلح مع ألمانيا على ضوء ما كان مقررا بشأنها فى اجتماع المؤتمر السابق انعقاده بمدينة موسكو فى شهر ابريل الماضى . ولم يكن الاتفاق قد تم على كثير من تلك الاجراءات ، ولاح فى الأفق أن الاتفاق عليها لا يزال عسيرا ، فأجل المؤتمر نظرها إلى موعد آخر .

وبدأ بمعالجة موضوع الدول التى تدعى

إلى حضور مؤتمر الصلح لتوقيع المعاهدة ، فرضيت روسيا بضم باكستان إلى هذه الدول ووافقت على تأجيل النظر فى دعوة ألبانيا ، وهى الدعوة التى تعارضها الدولتان الانجلوسكسونيتان .

وحسب القوم أن الصفاء قد أخذ بلوح فى الجو ، فتدخل وزير الخارجية البريتانية مقترحا حلا وسطا للوصول إلى تفاهم بين روسيا والولايات المتحدة على مسألة مساهمة ممثلين لألمانيا فى وضع شروط معاهدة الصلح معها ، فعرض أن تكون « لممثلى الحكومة الألمانية التى ستقبل معاهدة الصلح فرصة إبداء وجهات نظرهم فى مؤتمر الصلح » . لكن اقتراحه لم يفز برضا الجانبين المتنازعين ، فعاد إلى الجو ما كان مخيما عليه من قلق . وتفاقم هذا القلق إذ هدد وزير الخارجية الفرنسية بوقف المباحثات المتصلة باقامة حكومة مركزية فى ألمانيا إلى أن تتم تسوية مشكلة السار ، وإذ أدلى الجنرال ديجول بتصريح هدد فيه بمعارضة الخطة التى قد يلجأ أليها وزير الخارجية إذا هو رضى بتأليف الوحدة الألمانية التى يعتبرها أعظم خطر على فرنسا .

وتداعت الأحداث بعد ذلك ، فقد طالبت روسيا بنصيبها من التعويضات الألمانية متناسبا مع ما نزل بها من جراء الاعتداء الألمانى من خراب ودمار ، وإذ عارضت فى ضم السار إلى فرنسا إلا إذا وافق المؤتمر على التخوم الواقعية بين ألمانيا وبولونيا ، وإذ رفضت توحيد المناطق الألمانية إلا بعد أن يقرر نظام الادارة والاقتصاد فيها عن طريق حكومة ألمانية مركزية .

وكان من شأن ذلك كله أن أعلن وزير الخارجية الأميريكية استحالة العمل فى هذا الجو ، وأن طالب بتأجيل المؤتمر ، فتقرر رفض دورته الحالية وأعلن فى العالم نبأ إخفاقه .

والمعقول أن الدول الغربيات الثلاث الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا سيعقد وزراء خارجياتها مؤتمرا ثلاثيا يتفاهمون خلاله على تنظيم العلاقات بين ثلاثتهن والدولة الألمانية مع فتح الباب أمام روسيا حين ترى محل التفاهم واياهن على ضم المنطقة الألمانية الخاضعة لاحتلالها إلى مناطق ألمانيا الأخرى .

وأغلب الظن — إذا ذهب وزراء خارجية الدول الثلاث هذا المذهب — أن الخط الفاصل بين المنطقة السوفيتية والمناطق الانجليزية والاميريكية والفرنسية سينقلب خطا فاصلا بين كتلة البلاد الغربية وكتلة البلاد الشرقية ، تستقل كل منهما بكيانها الاقتصادى ، ولا تتصل بالأخرى إلا فى حالات الضرورات القصوى .

وقد يعمل أنصار « الخلافات الدولية » لاستغلال الحال الجديدة حين تتبلور ، لكن يصيب عليهم أن يصلوا باستغلام إلى حد الدفع بالعالم إلى حرب عالمية ثالثة

صقالبة الجنوب

وبينما كانت تكتنف تلك الصعوبات مؤتمر وزراء الخارجية بلندن ، كان المارشال تيتو يزور العاصمة البلغارية ويزور العاصمة المجرية ويزور العاصمة الرومانية ويوقع مواثيق التعاون بين يوغسلافيا وبلغاريا والمجر ورومانيا وألبانيا ، وهى وإن لم تخرج نصوصها عن كونها نصوص مواثيق التعاون العسكرى والسياسى والاقتصادى والثقافى

التى كثرت فى هذه الأيام ، يدعو قيامها فى هذه الظروف التى تنتاب العلاقات الدولية العالمية إلى الاهتمام الكبير خلال العالم كله . فقد أذيع عن الآستانة أن تلك المواثيق إنما تنطوى على فكرة إقامة حلف صقلبى من تلك الدول الأربع ومن مقدونيا اليونانية أيضا يدخل فى نطاق النفوذ السوفيتى إن لم ينته أمره بالالتحاق بالاتحاد السوفيتى كله ، وهو ما يدعم الكتلة الشرقية فى أوربا أكبر الدعم وما يقلق بال الكتلة الغربية فى أوربا وأمريكا أعظم الاقلاق .

وقد خطب فى ذلك المارشال تيتو عند عودته إلى بلغراد من زيارته لصوفيا فقال فيها : « لم تعد البلقان مخزنا للبارود بعد الآن . فقد عقدت الشعوب السلافية عزمها على أن تحيا فى ظل الصداقة والوحدة . » وخطب الرفيق ديمتروف رئيس الوزارة البلغارية من ناحيته فنوه بأن المعاهدة الجديدة منطوية على مقاومة « كل من يحاول العدوان على حرية الشعبين واستقلالهما . » وأضاف قوله : « إن القنبلة الذرية التى طالما اتخذتها أميريكا الاستعمارية وسيلة لاثارة الفزع والاضطراب فى النفوس لم تعد ترهب الآن سوى ضعاف الأعصاب ، فضلا عن أن إنتاجها لم يعد بعد الآن وقفا على تلك الدول الاستعمارية .

ولهذا الزج بالولايات المتحدة خلال تحدثه عن المعاهدة والميثاق مغزاه .

قضية فلسطين

أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة توصيتها بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية رغم تحذير مندوبى الدول العربية لديها بسوء مغبة قرار التقسيم . فهبت الجماعات فى هذه الدول تعلن الاحتجاج وتطالب حكوماتها بالتدخل وتعرض استعدادها للبذل بالأموال والأرواح فى سبيل الاحتفاظ بعروبة فلسطين ووحدتها .

وكانت جامعة الدول العربية قد أدرجت مشكلة فلسطين فى جدول أعمالها منذ سنتين أو أكثر من سنتين ، وكانت قد أصدرت فيها قرارات خلال اجتماعات مجلسها ولجانها ببلودان وصوفر والقاهرة ، لكنها كانت قد أحاطت تلك القرارات بالكتمان .

فلما جاء قرار التقسيم بادرت جامعة الدول العربية إلى عقد مجلس رؤساء حكوماتها كى يعرض للوضع الجديد على ضوء هذا القرار من ناحية ، وما بدا من رغبات الناس والجماعات فى بلادها من ناحية أخرى . فصدر عنه بعد اجتماعه أسبوعين كاملين بيان تناول فى إيجاز تطورات المشكلة الفلسطينية منذ « تلاقت أغراض الاستعمار وأطماع الصهيونية على إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين إلى أن تنكرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة لذات المبادئ التى تضمنها ميثاقها » أى منذ صدر وعد بلفور فى اليوم الثانى من شهر نوفمبر لسنة ١٩١٧ إلى أن صدرت التوصية بالتقسيم فى اليوم الثانى والعشرين من شهر نوفمبر لسنة ١٩٤٧ ؛ كما سجل البيان أن « رؤساء الحكومات العربية وممثليها قد قرروا فى اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه، وقرروا كذلك ، عملا بارادة شعوبهم، أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بعون الله باحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات» .

وقد كان لهذا البيان صداه عند العرب وعند غير العرب . أما عرب فلسطين فالوا إلى اعتباره فاترا إذ لم يتضمن ذكراً صريحا لأنواع المعونة التى ينتظرونها من الحكومات العربية ، وإن كانوا قد وطنوا أنفسهم على ألا يعتمدوا فى جهادهم إلا عليها، فأعدوا عدتهم على اعتبار أنهم وحدهم فى الميدان ، فان جاءتهم من إخوانهم فى سائر البلاد العربية معونة فأهلا بها ومرحبا ، وإن لم تجئهم فهم فى طريقهم ماضون وبالنصر مؤمنون .

لكن أصحاب البيان يهدئون من روع عرب فلسطين ؛ إذ يؤكدون أن السكوت عن التصريح بالخطط التنفيذية التى وضعت لمجابهة الاحتمالات راجع إلى ما تقضى به الحكمة إذ يترتب على كشفها ما يترتب من أضرار مؤكدة .

أما دوائر لندن الرسمية فقد كان أثر البيان فيها أن « بدت عليها مظاهر الأسف لانتقاد العرب الموقف الذى وقفته بريتانيا من تقسيم فلسطين » . وأكثر ما يثير أسف هذه الدوائر «أن يكون مكان بريتانيا من احتجاج العرب بعد الولايات المتحدة وقبل السوفيت» أى إنها لا تؤاخذ العرب على مبدأ الاحتجاج فى ذاته بل على نظام الترتيب والتعقيب فيه ليس غير ، وكانت تود لو خصوا بغضبهم الولايات المتحدة أول الأمر وثنوا بعدها بالاتحاد السوفيتى ، ثم استبقوا غضبهم على بريتانيا بعد ذلك عند حد المرتبة الثالثة . . .

وأما الاتحاد السوفيتى — وهو الذى قصد أول ما قصد بتأييده قرار تقسيم فلسطين إلى إجلاء بريتانيا عن هذه المنطقة من الشرق الأوسط — فقد صرح مندوبه لدى الأمم المتحدة بضرورة المضى فى سبيل تحقيق التقسيم على الرغم مما يقع من اضطرابات كان منتظراً وقوعها بطبيعة الحال .

وأما الولايات المتحدة التى اشتهر أمر تدخلها عند التصويت على التقسيم فيلوح أن قد هالها ما بدا فى البلاد العربية من تذمر وما قد ينال هذا التذمر المصالح الأمريكية الناشئة فى هذه البلاد من مساس، فراحت تقترح فى مجلس الأمن تأجيل النظر فى قرار الجمعية العامة، وراحت تتلمس حلولا أخرى غير الحل الذى لمست الآن أنه يشرك معها الاتحاد السوفيتى فى فلسطين .

محمود عزمى